التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية

إ.حسن حسين لطف الله البكولي

باحث دكتوراه – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة صنعاء

الملخص

4

التعايش السلمي مطلب مهم دعا إلى تحقيقه القرآن الكريم حيث بدأ بالمسلم في تحقيقه مع ذاته، ثم داخل أسرته وبين أفراد مجتمعه، ومن ثم تحقيقه على بقية المجتمعات المختلفة من خلال القيم الكفيلة بتحقيق التعايش كالعدل والتسامح والتكافل الاجتماعي.

ودراسة التعايش السلمي في القرآن الكريم له أهمية كبيرة لا سيما في هذا العصر الذي يمر بأوضاع وتحديات صعبة، فهناك الطامع في إقلاق أمن واستقرار المجتمع، وهناك الراغب في تغيير أفكاره وقيمه، وعلى إثر ذلك تكاثرت الصراعات السياسية والفكرية والمذهبية بين أفراد المجتمع.

وقد هدف هذا البحث إلى بيان مفهوم التعايش السلمي، والمبادئ والأسس التي يقوم عليها، وبيان حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين، والعوامل المؤثرة عليه ووسائل تحقيقه.

الكلمات المفتاحية: التعايش - السلم - التسامح - التعددية.

Research Summary:

Peaceful coexistence is an important demand that the Holy Qur'an called for fulfillment, as the Muslim began to achieve it with himself, then within his family and among members of his community, and then achieving it on the rest of the different societies through values that guarantee coexistence such as justice, tolerance and social solidarity.

The study of peaceful coexistence in the Noble Qur'an is of great importance, especially in this era that is going through difficult situations and challenges. There are those who desire to disturb the security and stability of society, and there are those who desire to change their ideas and values. As a result, political, intellectual and sectarian conflicts have multiplied among members of society.

The aim of this research is to clarify the concept of peaceful coexistence, the principles and foundations on which it is based, and to clarify the reality of peaceful coexistence among Muslims, the factors affecting it and the means to achieve it.

Keywords: coexistence - peace - tolerance - pluralism.

مقدمة:

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحُجُرات:13]، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد- ﷺ- وبعد:

لقد شغل موضوع التعايش السلمي الرأي العام منذ نشأة المجتمعات؛ وذلك لما يحمله هذا المفهوم من دلالات تُعنى بالإنسان في المقام الأول، فقد تناولته الديانات السماوية، والحضارات القديمة، والدساتير والقوانين المحلية والإقليمية والدولية، ويُمثل التعايش السلمي في المجتمعات الإنسانية حاجة وضرورة ماسَّة خاصة في هذا العصر؛ لما يمثله الصدام بين أبناء الإسلام من خطر محدق يهدد الأفراد والمجتمعات.

وبما أن المسلمين اليوم قد اختلفوا وتنازعوا وشاق بعضهم بعضاً فإن الناظر في أكثر ما يجري من انقسام في جسم الأمة المحمدية إنما هو من قبيل عدم التمسك بقرآن ربها؛ فزاد ذلك الشقة والفرقة فيما بين المسلمين، بالإضافة إلى كيد أعداء الإسلام الذين أظهروا الإسلام قصداً لتفتيت قوته وتقويض دولته وزرع الخلافات بين أهله، واتخذوا من الخلافات بين المسلمين فرصة ثمينة لنشر سموم الفتنة بينهم.

ومن هذا المنطلق تشكلت الرغبة لدى الباحث لإجراء هذا البحث؛ لمعرفة حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم، والذي يُتوقع أن يستفيد منه الكثير من الباحثين والدارسين في مجال القرآن الكريم وعلومه، إلى جانب الجماعات والفرق المختلفة التي بنت أفكارها على أسس دخيلة وبعيدة عن القرآن الكريم.

أهمية البحث:

1- سيُسهم البحث في إثبات أن القرآن الكريم بمقدوره حل جميع المشكلات الإنسانية، والصراعات الاجتماعية بشمولية وفعالية، وتحقيق الأمن والسلام والتعايش السلمي.

2- ارتباط هذا البحث بالواقع المعاصر حيث تناول قضية تشغل العالم في الوقت الحاضر وهي التعايش مع الآخر.

3- سوف يُقدم هذا البحث إضافة علمية في موضوع التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم تزامناً مع الأحداث المعاصرة.

أهداف البحث:

1- التعرف على مفهوم التعايش السلمي وأهميته وأهدافه.

2- بيان مبادئ التعايش السلمي الصحيحة في ضوء القرآن الكريم.

3- توضيح حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين، والعوامل المؤثرة عليه، ووسائل تحقيقه في ضوء القرآن الكريم.

منهج البحث: من أجل تحقيق أهداف البحث تمَّ الاعتماد على المنهج الوصفي بشقيه الاستقرائي والتحليلي، والذي يعرَّف بأنه "دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، والتعبير عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً"(1).

هيكل البحث:تكون هيكل البحث من ثلاثة مباحث، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: ماهية التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التعايش السلمي ومشروعيته.

المطلب الثاني: مبادئ التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أهمية التعايش السلمي بين المسلمين وأهدافه في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعايش مع أفراد الأسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعايش مع أفراد المجتمع المسلم في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التعايش السلمي بين الجماعات المسلمة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة على التعايش السلمي بين المسلمين ووسائل تحقيقه في ضوء القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العوامل المؤثرة على التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: وسائل تحقيق التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم.

(1) ذوقان عبيدات، وآخرون، (2003م). البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمَّان، ط5، (ص310).

المبحث الأول
ماهية التعايش السلمي
المطلب الأول: مفهوم التعايش السلمي ومشروعيته
أولاً: مفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح:

1- التعايش السلمي في اللغة:

التعايش: مصدر مشتق مِن الفعل عاش يعيش عيشاً، وهو حالة اجتماعية مشتقة من العيش، والعيش الحياة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[النبأ:11]، أي: ملتمساً للعيش، وقد يطلق هذا المصطلح في اللغة ويراد به: الألفة والمودة، كما جاء ذلك في بعض كتب اللغة بأن المقصود من تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي(1)، والسلم: "ضد الحرب، والسِّلِم والسَّلَم واحد، وفي التنزيل: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾[النساء:90]"(2)، وبما أن التعايش والسلم متلازمان بحيث لا يمكن الفصل بينهما فلفظ السلمي إنما هو وصف من باب التأكيد؛ لأنه لابد لكل تعايش من أن يكون سلمياً.

2- التعايش السلمي في الاصطلاح:

عُرف التعايش بأنه: "كلمة تعني العيش المشترك مع الآخرين، ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إن وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحمتها الألفة وسداها المودة والثقة"(3).

ومنهم من عرف التعايش السلمي بأنه: "القبول بوجود الآخر، والعيش معه جنباً إلى جنب دون سعي لإلغائه أو الإضرار به، سواء كان هذا الآخر فرداً، أو حزباً سياسياً، أو طائفة دينية، أو دولة مجاورة، أو غير ذلك"(4).

من خلال ما تم عرضه لبيان مفهوم التعايش السلمي فإنه يمكن القول: إن التعايش بمفهومه العام يدل على القيمة الأخلاقية التي لابد من توفرها لفتح مجال التصالح والاعتراف بالآخر، وعدم السعي إلى إلغائه أو تهميشه أو سلب حقوقه أو مصادرة أفكاره؛ من أجل بناء مجتمعات آمنة ومستقرة بعيدة عن الصراعات المتنوعة ثقافياً وفكرياً، ولمنع هذه المجتمعات من الانزلاق في هاوية الحروب.

---

(1) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (321/6). وإبراهيم مصطفى، وآخرون، (د.ت). المعجم الوسيط، تحقيق، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ط، (639/2).

(2) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (د.ت). الاشتقاق، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (34/1).

(3) المبارك، هاني، وخليل، شوقي، (1996م). الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر، دمشق، د.ط، (ص12).

(4) المحلبدي، مزنة بريك بن مبارك، (1432هـ- 1433هـ). التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم وتطبيقاته التربوية في الأسرة والمدرسة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، (ص13).

ثالثاً: مشروعية التعايش السلمي:

لم يرد مصطلح التعايش في القرآن الكريم صراحة، وإنما ورد معنى التعايش في القرآن الكريم من خلال مفاهيم بعض الآيات ودلالتها ومضامينها، حيث تبين أنها تحث على قبول الآخر وعدم الإضرار به وإن كان مخالفاً في الألسنة والألوان والطباع، وهذا هو المفهوم الأساسي للتعايش.

ومن أبرز الآيات الدالة على التعايش قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحُجُرات:13]، فذهب المفسرون إلى جعل هذه الآية أساس مبدأ التعايش في القرآن الكريم، والتي تدل على احترام الأخرين وتُبطل التفاخر بين الناس، فنصت على ألا يختلفوا ولا يتفرقوا ولا يتخاصموا، والآية خصت القبيلة بالذكر؛ كون القبيلة تحتها الشعوب، وتحت الشعوب البطون، وتحت البطون الأفخاذ، وتحت الأفخاذ الفصائل، وتحت الفصائل الأقارب، وذكر الأعم؛ لأنه أذهب للافتخار ثم بيّن فائدة ذلك وهي التعارف(1).

كما وصف النبي- ﷺ- حقيقة التعايش بقوله: «"المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"»(2)، وهذا هو أساس التعايش السلمي، ويؤكد هذا المعنى قول النبي- ﷺ-: «"أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً(3)، الذين يَألفون ويُؤلفون، وليس منا من لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ"»(4)، والألفة الجامعة هي إحدى القواعد المهمة التي يصلح بها حال الإنسان(5).

(1) ينظر: الرازي، فخرالدين محمد بن عمر التميمي، (1421هـ- 2000م). مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (112/28-113). والسعدي، عبدالرحمن، (1420هـ- 2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (802/1). وقطب، سيد إبراهيم، (1399هـ- 1979م). في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط8، (3348/6).

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب: صفة القيامة، الحديث رقم: (2507)، تحقيق، أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، (662/4). قال الألباني في تعليقه على الكتاب: حديث صحيح، ينظر: المرجع نفسه.

([3]) الموطؤون: من التوطئة وهي التمهيد والتذليل، وفراش وطئ لا يؤذي جنب النائم، والأكناف: الجوانب، أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى، ينظر: المناوي، عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي، (1415هـ- 1994م). فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (619/3).

([4]) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (1415هـ). المعجم الأوسط، تحقيق، طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، (356/4). قال الألباني: حديث حسن، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (د.ت). صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الحديث رقم: (2111)، المكتبة الإسلامية، د.ط، (212/1).

([5]) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري، (1405هـ). أدب الدنيا والدين، دار اقرأ، بيروت، ط4، (185/1).

المطلب الثاني
مبادئ التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم

أولاً: وحدة الخلق:

يعتبر مبدأ وحدة الخلق هو أول مبادئ التعايش السلمي؛ كونه يعبر بأن أصل الخلق ومبدأهم واحد إلى أن وجدوا في هذه الحياة، وقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[النساء:1]، فذكر سبحانه وتعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة؛ ليعطف بعضهم على بعض، بغض النظر عن اختلافاتهم وانتماءاتهم(1).

وبما أن أصل خلق البشر واحد فقد جُعلوا شعوباً وقبائل وأمماً شتى؛ ليتعارفوا ويتآلفوا، لا ليتقاتلوا ويتخالفوا ويعتدي بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحُجُرات:13](2)، يقول الشنقيطي(3) في تفسيره: أن هذه الآية الكريمة تدل "على استواء الناس في الأصل; لأن أباهم واحد وأمهم واحدة، وكان في ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب، وتطاول بعض الناس على بعض، وبين تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل؛ لأجل أن يتعارفوا أي: يعرف بعضهم بعضاً، ويتميز بعضهم عن بعض، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتطاول عليه"(4).

وجاءت السنة النبوية تقرر مبدأ وحدة الخلق وأن أصلهم واحد، وأبطلت التفاخر والتعاظم والتمييز بين الطبقات، ومن ذلك قول النبي- ﷺ-: «"لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الْجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الْخِرءَ(5)

(1) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، (1420هـ- 1999م). تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، (206/2).

(2) ينظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، (1416هـ- 1996م). غرائب القرآن ورغائب الفرقان: تحقيق، زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (168/6). والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (802/1).

(3) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي، مفسر ومدرس من علماء شنقيط موريتانيا، ولد بها سنة (1325هـ)، وتعلم بها، توفي في مكة سنة (1393هـ)، له العديد من المؤلفات أشهرها: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- منع جواز المجاز- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (2002م). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، (45/6).

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (1415هـ- 1995م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، (417/7).

(5) الْجُعَلِ: هو دويبة سوداء تدير الغائط يقال لها الخنفساء، يُدَهْدِهُ: أي يدحرجه، الْخِرءَ: هو العذرة. ينظر: المباركفوري، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، د.ب، (405/9).

بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية(1) الجاهلية، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب"»(2)، وقال في خطبته- ﷺ- في يوم عرفة: «"يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"»(3)، وهذا يؤدي إلى رفض أي تمييز ديني أو عنصري أو لغوي.لا

ثانياً: احترام الكرامة الإنسانية:

تكريم الإنسان من أولى الأسس التي أقرها الإسلام مهما كانت جنسيته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[الإسراء:70]، أي: جعلناهم قاطبة ذوي كرم وشرف ومحاسن جمة لا يحيط بها نطاق الحصر(4).

ويُعد الإسلام أول من نادى بحقوق الإنسان وكل دارس للشريعة الإسلامية يعلم أن لها مقاصد تتمثل في حماية حياة الإنسان وماله وعرضه، وقد سجل التاريخ للخليفة الثاني عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- مواجهته الحاسمة لانتهاك حقوق الإنسان والتي هي أول بند في ميثاق الأمم المتحدة حين قال: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، وهو- رضي الله عنه- لم يرتبها ولم يجلس لصياغتها وإنما استمدها من المناخ الذي وضعه فيه القرآن، ونتيجة لتجاوبه مع القرآن وفهمه له(5).

مما سبق يتبين أنه لابد من غرس قيم الإنسانية، فالجميع مكرمون من حيث إنسانيتهم، وهي في الأصل منحة ربانية، وهذا ما ينفي تلك المزاعم التي تقول أن الإسلام لم يحفظ للإنسان كرامته.

---

(1) عبية الجاهلية: فخرها وتكبرها ونخوتها. ينظر: العظيم آبادي، (1388هـ- 1968م). عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق، عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، (2394/9).

(2) الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في فضل الشام واليمن، الحديث رقم: (3955)، (734/5). قال الألباني في تعليقه على الكتاب: حديث حسن، ينظر: المرجع نفسه.

(3) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، (1419هـ- 1998م). مسند أحمد بن حنبل، الحديث رقم: (23885)، تحقيق، السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط1، (411/5). قال الألباني: حديث صحيح، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (1414هـ). تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، (406/1).

(4) ينظر: الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، (112/8).

(5) ينظر: المبرد، يوسف بن حسن بن عبدالهادي، (1420هـ- 200م). محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق تحقيق عبدالعزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالمدينة المنورة، ط1، (473/2). والغزالي، محمد، (د.ت). كيف نتعامل مع القرآن، دار نهضة، مصر، ط1، (ص159).

ثالثاً: المساواة:

المساواة من وجهة نظر الإسلام تعني أن يكون الناس كلهم سواسية فيما يكلفون به من واجبات، وما منحهم الله من حقوق بلا تمييز، وقد خاطب القرآن الكريم الناس جميعاً وليس الذين آمنوا فقط قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِير﴾[الحُجُرات:13]، فوحدة التشريع تكون بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية والتأديبية، وبالعدل المطلق بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والغني والفقير، والقوي والضعيف(1).

وحين وقع أحد أصحاب رسول الله- ﷺ- في بعض الأمور التي كانت سائدة في الجاهلية، وعير أخاه المسلم بأن لونه أسود، فانبرى- ﷺ- ليصده ويذكره قائلاً: «"إنك امرؤ فيك جاهلية"»(2)، فأقام النبي- ﷺ- أصل المساواة على النحو الذي يجعل هذا المبدأ وسيلة لرقي الإنسان وتقبله للآخر والتعايش معه.

وبناء على مبادئ التعايش السلمي فقد وضع الإسلام المساواة بين الجميع حتى أصبحت هي سمة من سمات الإسلام وأصل من أصوله، وفي ظلها تنمحي فوارق التمييز بين البشر ويخضع الجميع لسلطان وقانون الإسلام الذي لم يجعل لأي شخص يدعي الرقي والتمتع بالحقوق دون غيره، فلم يجعل منزلة أو ميزة حقاً لأفراد أسرة معينة لا يستمتع بها سواهم(3).

رابعاً: الأخلاق: الأخلاق هي التي تهذب النفوس، وتربي الضمير، وتجعل من المسلم منصفاً من نفسه قبل أن ينصفه الآخرون، وتحمل الفرد المسلم على الامتثال والالتزام بالأحكام عن طواعية واختيار في كل معاملاته على مستوى الأفراد والجماعات والأمة.

وقد مدح القرآن الكريم أخلاق النبي محمد- ﷺ-، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾[القلم:4]، والخُلق ملكة نفسية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة، ويدخل في حُسن الُخلق التحرز من الشح والبخل والغضب والتشديد في المعاملات، والتحبب إلى الناس بالقول والفعل، وترك التقاطع والهجران، والتسامح بما يلزم من حقوق من له نسب

(1) ينظر: رضا، محمد رشيد، (1990م). تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، (211/11).
(2) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (1407هـ- 1987م). صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، الحديث رقم: (30)، تحقيق، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، (20/1).
(3) ينظر: الزعبي، فاروق فالح، (2005م). حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون الدولي دراسة تحليلية مقارنة، مجلة الحقوق، الكويت، العدد: 4، (ص123).

أو كان صهراً له وحصل له حق آخر، وعلى إثر هذه الأخلاق يتحقق التعايش بين المسلمين(1).

كما أن للأخلاق دوراً مهماً في ترسيخ مبادئ التعايش بين المسلمين، إذ كيف يتعايش المسلمون في أمن واستقرار ويتشاركون ويتعاونون لولا صفة الأمانة، وكيف تكون الثقة بينهم لولا فضيلة الصدق، ولأهمية الأخلاق قال النبي- ﷺ-: «"بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"»(2)، كما كان من أخلاقه- ﷺ- أنه كان جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، وكان يجالس الفقراء والمساكين ويؤاكلهم، وكان يمر على الصبيان ويسلم عليهم، وكان يجلس مختلطاً بأصحابه كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل(3).

فالأخلاق الإسلامية هي السلوك من أجل الحياة الخيرة، وطريقة للتعامل الإنسانى، حيث يكون السلوك بمقتضاها له مضمون إنساني، ويستهدف غايات خيرة، وعلى العاقل أن يتخلق بأخلاق الأنبياء والأولياء ويتأدب بآدابهم فإنهم كانوا يصبرون على الأذى، ولا يقابلون السفيه بمثل مقابلته، وإذا مروا باللغو مروا كراماً(4).

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (71/30).

(2) الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، (1441هـ- 1990). المستدرك على الصحيحين، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، الحديث رقم: (4221)، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط مسلم، تحقيق، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (670/2).

(3) ينظر: حقي، إسماعيل بن مصطفى، (د.ت). تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، (129/3).

(4) ينظر: مجموعة علماء، (1418هـ- 1998م). موسوعة نضرة النعيم فى أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، جدة، ط1، (66/1).

المطلب الثالث

أهمية التعايش السلمي بين المسلمين وأهدافه في ضوء القرآن الكريم

أولاً: أهمية التعايش السلمي بين المسلمين:

1- الحد من الحروب والصراعات:

يعمل التعايش السلمي بين المسلمين على بناء المستقبل الآمن وإحلال السلام، فالإسلام دين أمن وسلام وليس دين حرب ودمار، وقد وضع قواعد محكمة لكفالة الأمن والسلام بين المسلمين حيث أصبح الإسلام بحق دين الأمن والسلام، وخير شاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾[البقرة:208]، أي: "ادخلوا بأجمعكم في السلم ولا تفرقوا ولا تختلفوا"(1).

وخير شاهد أن للتعايش السلمي أهمية في الحد من الحروب والصراعات وثيقة المدينة التي، تحقق خلالها الأمن والاستقرار، ومن خلاله تم القضاء على بعض العوائق التي كانت تشكل خطراً على أمن واستقرار الدولة الإسلامية وهي مشكلة التعايش في المدينة بين طوائف مختلفة من المسلمين وهي: الأوس، والخزرج، وبهذا العهد تم القضاء على النعرات الجاهلية، وتم الحد من الحروب والصراعات بين المسلمين من جهة، وبين دولة الإسلام واليهود من جهة أخرى.

2- تعزيز مبدأ التعامل مع الغير بالعدل والإحسان:

لقد أرسى الإسلام القواعد الأساسية التي من خلالها يتم التعايش السلمي على أسس قرآنية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[النحل:90]، وعن هذه الآية يقول ابن مسعود- رضي الله عنه-: "هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل، ولشر يجتنب"(2).

ويأتي تعزيز مبدأ التعامل بين المسلمين بالبر والإحسان امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحُجُرات:10]، ويؤكد هذا قول النبي- ﷺ-: «"المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"»(3).

3- توضيح الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين:

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، (177/5).

(2) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، (1384هـ- 1964م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، (165/10).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، الحديث رقم: (2310)، (862/2).

عمل أعداء الإسلام على تشويه صورة الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية، فصوروا الإسلام بأنه من يقف ضد القيم السامية ومطامع الإنسانية في تحقيق السلام، ووصفوه بأنه دين التطرف والعنف والغلو والإرهاب، والحقيقة أن الواقع يُكذب كل هذه الأباطيل؛ لأن القرآن الكريم حث على حماية النفس البشرية وحرم الاعتداء عليها كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالحَقِّ﴾[الإسراء:33]، والنفس المحرمة المذكورة في الآية هي المؤمنة والذمّية والمعاهدة، فلا يجوز الاعتداء عليها وقتلها مادام غير المسلمين المقيمين بيننا غير محاربين(1).

وفي مجال المعاملات والآداب تتجلى صور عظيمة من سماحة الإسلام حيث شرع للمسلم أن يحُسن المعاملة مع المسلمين وغير المسلمين كما قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[البقرة:83](2)، وفي الجانب الأخلاقي والسلوكي حرص الدين الإسلامي على التعامل الراقي مع الآخرين، وممارسة الخُلق السامي، كما حرص على إفشاء السلام والرد بالتي هي أحسن، سواء مع المسلمين أو مع غيرهم.

ثانياً: أهداف التعايش السلمي بين المسلمين:

1- إبراز محاسن الإسلام والدعوة إليه:

من خلال التعايش السلمي بين المسلمين تبرز محاسن الإسلام وصورته الحقيقية، وتنتهي كل الدعاوى الباطلة الهادفة إلى النيل من الإسلام والمسلمين، وبالتعايش والمعاملة الحسنة بين المسلمين يتيسر السبيل للدعوة إلى دين الإسلام ومعرفة حقيقة الإسلام بواقع عملي عن قرب.

ولأن الدين الإسلامي دين رحمة للناس جميعاً أمر القرآن الكريم بحُسن التعامل مع أفراد المجتمع قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[البقرة:83]، كما نهى القرآن الكريم عن السخرية والاستهزاء والتلفظ بالألفاظ القبيحة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾[الحُجُرات:11](3).

(1) ينظر: المراغي، أحمد مصطفى، (د.ت). تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د.ط، (68/8). والقرضاوي، يوسف، (2005م). غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، (ص9).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (154/3). والسباعي، مصطفى، (1420هـ). من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، (ص133).

(3) ينظر: الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، (1418هـ- 1997م). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق، علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (271/5).

وبما أن هناك حملة عارمة تهدف إلى تشويه الصورة الحسنة للإسلام والنيل من ثوابته، فيكون التعايش بين المسلمين هو الهدف العظيم للرد على شبهاتهم وإبطال دعاواهم من خلال التخلق بأخلاق الإسلام البعيدة عن الغلو والتطرف، وبدون مساومة على أي أمر من أمور الشرع.

2- المحافظة على وحدة وبنية المجتمع:

يهدف التعايش السلمي إلى المحافظة على وحدة وبنية المجتمع الإسلامي، انطلاقاً من قول الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾[آل عمران:103]، وبالاعتصام بحبل الله تعالى تتحقق وحدة المجتمع الإسلامي، ويتم القضاء على كل أنواع الفرقة والشتات، وهذا ما يهدف إليه التعايش السلمي(1).

وقريب من الآية السابقة في تلاحم ووحدة المجتمع المسلم شبه النبي محمد- ﷺ- أن المسلمين في وحدتهم كمثل الجسد الواحد فقال: «"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"»(2).

3- الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع:

إذا لم يكن الهدف من التعايش هو تحقيق أمن واستقرار المجتمعات الإسلامية من الاضطراب فلا معنى للتعايش؛ لأن من أغراض التعايش إيجاد مجتمعات آمنة ومستقرة يتمتع فيها جميع الأفراد بالأمن والاستقرار، وللحفاظ على أمن واستقرار المجتمع نهى القرآن الكريم عن إفزاع الآمنين ونهب أموالهم ووضع لها أشد العقوبات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ﴾[المائدة:33](3).

فأمن واستقرار المجتمع هو واحد من قواعد صلاح الدنيا وعمرانها، وبه تطمئن النفوس، وتنشر به الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، وقد قال بعض الحكماء:

(1) ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (1413هـ- 1993م). بحر العلوم، تحقيق، محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (288/1).

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، الحديث رقم: (5665)، (2238/5).

(3) ينظر: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (1415هـ- 1995م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق، عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، (451/2).

الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم(1).

وحين قدم النبي- ﷺ- لفتح مكة ولكي يحقق التعايش السلمي بين الجميع بدأ بترسيخ الأمن والاستقرار بين أوساط المجتمع حين أعلن بين الناس قائلاً: «"من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"»(2)، وفي هذا السبب الكفيل للاستقرار والسلم المجتمعي، وسبب كفيل لنبذ العنف والاضطراب في المجتمع.

4- تعزيز مبدأ الحوار والتخلي عن أسباب الاختلاف:

يهدف التعايش السلمي بين المسلمين إلى تعزيز مبدأ الحوار بينهم والتخلي عن أسباب الاختلاف والنزاع كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:125]، وهذه الآية "قامت على أساسها صلات المسلمين فيما بينهم وبين المجتمعات الإنسانية التي لم تدخل في الإسلام، سواء ما كان منها في ذمة المسلمين، أو كان في دار الحرب"(3).

ومن خلال الحوار يستطيع كل طرف أن يُسّمع الآخر صوته، ويبسط له أدلته من غير استفزاز للمشاعر، أو تهييجٍ لنوازع الهوى والاعتداد بالرأي فتأخذ الطرف الآخر العزة بالإثم.

(1) ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، (ص157).

(2) أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (د.ت). سنن أبي داود، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في خبر مكة، الحديث رقم: (3022)، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، د.ط، (162/3). قال الألباني: حديث حسن، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، د.ب، (22/7).

(3) الخطيب، عبدالكريم، (د.ت). التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، (765/5).

المبحث الثاني

التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: التعايش مع أفراد الأسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم:

أولاً: التعايش مع الوالدين المُسْلِمَين:

إذا كان القرآن الكريم قد أمر بقبول الوالدين غير المُسْلِمَين، وبين إمكانية التعايش معهم في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:15]، فالتعايش معهما إن كانا مُسْلِمَين من باب أولى، وتتمثل صور التعايش مع الوالدين المُسْلِمَين من خلال الآتي:

1- طاعتهما:

تعتبر طاعة الوالدين الأساس الأول من أسس التعايش معهما؛ لذلك قرن القرآن الكريم بين طاعة الله عزوجل وطاعة الوالدين قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:23]، وقضى أي: أمر وألزم وأوجب، "قال ابن عباس: ليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء أمر"(1)، ومن مقتضيات الطاعة الأبوية أن يتواضع الابن لوالديه، وأن يكون ذليلاً رحيماً بهما كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:24]، وهذه استعارة تؤكد على الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما(2).

2- برهما:

ومن التعايش مع الوالدين برهما، والبر: أن تعطي أمك ما تحتاجه، وأن تعطي أباك ما يحتاجه، وبر الوالدين كان من سجايا الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-، ومنه وصف الله عزوجل يحيى بن زكريا- عليهما السلام- بصفات كريمة ومنها البر بالوالدين قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[مريم:14] "أي: كثير البر بهما والإحسان إليهما والحدب عليهما بعيداً عن عقوقهما قولاً وفعلاً"(3)، كما ذكر عيسى- عليه السلام- النعم التي امتن الله عزوجل بها عليه ومنها بره بوالدته كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[مريم:32].

3- الإحسان إليهما:

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (236/10).
(2) ينظر: المرجع نفسه، (243/10).
(3) المراغي، تفسير المراغي، (39/16).

جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين عقب الأمر بوجوب إخلاص العبادة لله في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الأنعام:151]، ولعل السر في ذلك هو إشعار المخاطبين بأهمية هذا الأمر المقتضى لوجوب الإحسان إلى الوالدين حيث إنهما السبب المباشر لوجود الإنسان في هذه الحياة، وهما اللذان لقيا ما لقيا من متاعب من أجل راحة أولادهما، فيجب أن يقابل ما فعلاه بالشكر والاعتراف بالجميل.

ومن الإحسان إليهما إكرامهما، والتواضع لهما، والشفقة عليهما، والتلطف بهما، بأن يُقال لهما القول الحسن والكلام الطيب المقرون بالاحترام والتعظيم، إحساناً تاماً غير ناقص، إحساناً ملؤه الوفاء ورد الجميل؛ لأنهما سبب الوجود والتربية.

4- التلفظ معهما بالألفاظ الحسنة:

ومن التعايش مع الوالدين التلفظ معهما بالألفاظ الحسنة والحميدة والابتعاد عن الألفاظ القبيحة والسيئة كما قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[الإسراء:23]، وأُفٍّ: "قولاً يدل على التضجر منهما والاستثقال لأي تصرف من تصرفاتهما"(1).

وفي حالة الكبر والضعف يجب مراعاة أحوال الوالدين أكثر من ذي قبل، فلا ينبغي أن يصدر من الابن أي كلمة تظهر التأفف والضجر، أو أي فعل يمكن أن يسيء لهما، بل يجب إسماعهما القول الطيب والحسن الدال على التعظيم والتبجيل.

ثانياً: التعايش بين الزوجين المُسْلِمَين:

المرأة هي إحدى شطري النوع الإنساني قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾[النجم:45]، وهي إحدى شقي النفس الواحدة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[النساء:1]، وهي شقيقة الرجل من حيث الأصل والمنشأ والمصير كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[النحل:97].

والزوج والزوجة يمثلان نواة الأسرة، والأسرة نواة المجتمع، فإذا انتظمت حقوق الزوجين انتظمت الأسرة، وإذا استقامت الأسرة استقام المجتمع، والقرآن الكريم نظم الحياة الزوجية على أسس صحيحة، وبما يتحقق من خلاله التعايش المشترك بين الزوجين من

(1) طنطاوي، محمد سيد، (1404هـ- 1984م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، (72/15).

خلال مراحل متدرجة ومنتظمة ووسائل صحيحة، وتتمثل صور التعايش بين الزوجين من خلال الآتي:

1- السكن والمودة والرحمة:

جاء التعبير القرآني اللطيف والموحي للعلاقة بين الزوجين والوصف لها بأنها سكن يأنس بها الزوج ويطمئن معها، ويألفها ويتعايش معها؛ لأن الحياة الزوجية لا تستقيم أبداً ولا تؤتى ثمارها الطيبة المباركة إلا إذا سكن كل من الزوجين إلى الآخر وامتزج به واختلط بمشاعره وتعايش معه على هذا الأساس كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾[الروم:21].

ثم تأتي المودة وهي الحب المتبادل في مشوار الحياة قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم:21]، وفي هذا الترتيب إشارة إلى أن المودة والرحمة أمران يتولدان من الألفة والسكن، وأنه لولا السكن والائتلاف ما قامت مودة ورحمة، ومن هنا يتقوى رابط التعايش في نطاق المودة(1) ثم جاءت الرحمة؛ لأن البشر عامة كثيراً ما تتغير أحوالهم، فالقوي قد يصير ضعيفاً، والغني قد يصير فقيراً، والمرأة الجميلة تُغيِّرها الأيام أو يهدها المرض، لذلك يلفت القرآن إلى أن هذه المرحلة التي ربما فقدتم فيها السكن والمودة فإن الرحمة تسعكما ويتحقق التعايش بينكما(2).

2- المعاشرة بالمعروف:

حُسن العشرة بين الزوجين هو السبيل إلى السعادة الزوجية والاستقرار الأسري كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:19] "أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها ففْعل أنت بها مثله كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:228]"(3)، ومن المعاشرة بالمعروف المخالطة والممازجة بين الزوجين، وأن تتزين له ويتزين لها حتى إن ابن عباس- رضي الله عنهما- كان يقول: إني أتزين لامرأتي كما تتزين لي، وهذه المعاملة الحسنة من ابن عباس للمرأة دليل على كمال الرجولة(4)، ولهذا قال النبي– ﷺ-: «"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"»(5).

(1) ينظر: عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (497/11).
(2) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، د.ب، (7117/1).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (242/2).
(4) ينظر: أبو زهرة، محمد، (د.ت). زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، (1621/1).
(5) الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، الحديث رقم: (3895)، (907/5). قال الألباني في تعليقه على الكتاب: حديث صحيح، ينظر: المرجع نفسه.

وحتى يستمر التعايش بين الزوجين حث النبي- ﷺ- على الرفق واللين والمداراة في التعامل مع الزوجة، فبين- عليه الصلاة والسلام- للرجل طباع المرأة فقال: «"إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها"»(1)، قال ابن حجر(2) عند شرح هذا الحديث: بأن فيه رمز "إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يتركه فيستمر على عوجه"(3)، وقال الغزالي(4): "واعلم أنه ليس حُسن الخُلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله- ﷺ-، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام"(5).

ثالثاً: التعايش مع الأبناء المسلمين:

العلاقة بين الآباء والأبناء هي علاقة الأصل بالفرع، وتُعد من أهم وأقوى العلاقات التي تنشأ بين البشر؛ كونها النواة الأولى في بناء المجتمع، ويتمثل التعايش مع الأبناء من خلال الآتي:

1- رعايتهم وحُسن تربيتهم:

تبدأ رعاية الأبناء بمنحهم الحق في الحياة، ولهذا نهى القرآن الكريم عن قتل الأبناء كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام:151]، فنهى الله عزوجل عن قتل الأبناء تحت أي مبرر.

ومتى ما بدأ الطفل في مشوار الحياة تبدأ مسؤولية والديه في تنشئته التنشئة الصالحة؛ لأن أي تساهل في ذلك يترتب عليه نتائج خطيرة في الدنيا والآخرة، كما قال- صلى الله عليه وسلم- «"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أو يمجسانه..."»(6).

---

(1) البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، (1414هـ- 1993م). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب: النكاح، باب: معاشرة الزوجين، الحديث رقم: (4178)، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (485/9). قال الألباني: حديث صحيح، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ت). صحيح الترغيب والترهيب، كتاب: النكاح وما يتعلق به، باب: الترغيب في غض البصرة والترهيب من إطلاقه ومن الخلوة بالأحنبية ولمسها، الحديث رقم: (1926)، مكتبة المعارف، الرياض، ط5، (195/2).

(2) هو: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، أصله من عسقلان بفلسطين ولد في القاهرة سنة (773هـ) وتوفي فيها سنة (852هـ)، وكان من أئمة العلم والتاريخ والأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، من أشهر مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري- الأحكام لبيان ما في القرآن من الاحكام- تقريب التهذيب. ينظر: العكري، عبدالحي بن أحمد بن محمد، (1406هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، عبدالقادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير، د.ط، (270/7- 272).

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1379هـ). دار المعرفة، بيروت، د.ط، (254/9).

(4) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الاسلام، كان فيلسوفاً ومتصوفاً، ولد سنة (450هـ)، في قصبة طوس بخراسان، وتوفي بها سنة (505هـ)، له العديد من المصنفات منها: إحياء علوم الدين- تهافت الفلاسفة- الاقتصاد في الاعتقاد. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (1405هـ- 1985م). سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، (322/19- 323).

(5) الغزالي، إحياء علوم الدين، (43/2).

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، الحديث رقم: (1319)، (465/1).

وفي وصايا لقمان الحكيم لابنه النموذج الفريد في التعايش مع الأبناء وحُسن تربيتهم بالأهم فالمهم وعلى مراحل وخطوات متتابعة لا انفصال بينهما، بداية بغرس العقيدة في النفس كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾[لقمان:13]، ثم تأتي المرحلة الثانية بتطبيق تلك العقيدة والدعوة إليها والصبر على تكاليفها كما قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾[لقمان:17](1)، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجانب الأخلاقي والتربوي ليُرشده ويوجهه إلى كيفية معاملته مع الناس كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِير﴾[لقمان:18- 19].

2- برهم وحُسن معاشرتهم:

علاقة البر ليست فقط من الأبناء نحو الآباء بل هي أيضاً من الآباء نحو الأبناء، يقول الرازي(2) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:31]، "أنه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة علم في هذه الآية كيفية البر بالأولاد، ولهذا قال بعضهم إن الذين يسمون بالأبرار إنما سموا بذلك لأنهم بروا الآباء والأبناء وإنما وجب بر الآباء مكافأة على ما صدر منهما من أنواع البر بالأولاد وإنما وجب البر بالأولاد لأنهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين"(3).

وكان وصف الآباء ببرهم لأبنائهم أمراً معروفاً عند السلف- رحمهم الله-، فقد كان قوم عند إياس بن معاوية(4) فذكروا الآباء والأبناء أيهم أبر إذا بروا جميعاً، فأجمعوا على أن الآباء أبر إذا كان براً، فقال إياس: أنا أخالفكم أبرهما إذا كانا برين بالابن؛ لأن البر من الوالد

(1) ينظر: صالح، سعاد إبراهيم، (1400هـ- 1980م). علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، (ص62).

(2) هو: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، وأصله من طبرستان، ومولده في الري سنة (544هـ)، وتوفي في هراة سنة (606هـ)، له العديد من المصنفات أشهرها: مفاتيح الغيب- معالم أصول الدين- أسرار التنزيل. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (21/500- 501).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، (20/157).

(4) هو: إياس بن معاوية بن قرة المزني، ولد سنة (46هـ)، قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه، توفي سنة (122هـ). ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، (1399هـ- 1979م). صفة الصفوة، تحقيق، محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط3، (2/263).

طباع ومن الولد تكلف لما افترض الله عزوجل عليه(1)، والشاهد في هذه القصة أنهم كانوا يتحدثون عن البر من الآباء والأبناء غير أن إياس بفقهه خالف القوم في أن الأبناء أشد براً إذا بروا؛ لأن البر في الأب سجية وفطرة وطبع ومن الابن تكلف.

وكان سفيان الثوري(2) يقول عن حاله مع ابنه سعيد: "ما جفوته قط وربما دعاني وأنا في صلاة غير مكتوبة فأقطعها له"(3)، وما هذا إلا لشدة بره بابنه، وبما أن البر هو التوسع في فعل الخير، فمن أحق الناس بخير الآباء أبناؤهم، ومن أعظم الخير برهم والإحسان إليهم، وكان من أقول السلف- رحمهم الله-: "بر ولدك فإنه أجدر أن يبرك، وإنه من شاء عقه ولده"(4).

3- العدل بين الأبناء:

في التعايش مع الأبناء لابد من العدل بينهم، وذلك في الرعاية والمحبة والاهتمام مادياً ومعنوياً امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90]، وفي العدل بين الأبناء يقول النبي- ﷺ-: «"اعدلوا بين أولادكم في العطية"»(5)، وقال- ﷺ-: «"...اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف"»(6).

(1) ينظر: القرشي، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، (1990م). العيال، تحقيق، نجم عبدالرحمن خلف، دار ابن القيم، الدمام، ط1، (325/1).

(2) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة في خلافة سليمان بن عبدالملك سنة (97هـ)، وتوفي في البصرة سنة (161هـ)، أدرك جماعة من كبار التابعين، له من الكتب: الجامع الكبير- الجامع الصغير- وكلاهما في الحديث. ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، (151/3).

(3) القرشي، العيال، (319/1).

(4) المروزي، أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن حرب، (1419هـ). البر والصلة، تحقيق، محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط1، (74/1).

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الهبة وفضلها، باب: الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله ولا يشهد عليه، الحديث رقم: (2447)، (913/2).

(6) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب: الهبة، باب: أحكام الهبة، الحديث رقم: (5104)، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (503/11). قال الألباني: حديث صحيح، ينظر: الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الحديث رقم: (1926)، (193/1).

المطلب الثاني
التعايش مع أفراد المجتمع المسلم في ضوء القرآن الكريم

أولاً: التعايش مع الجار المسلم:

الجار يطلق ويراد به "في كلام العرب على وجوه كثيرة، فالجار: الذي يجاورك بيت بيت"(1)، كما يطلق لفظ الجار في اللغة ويراد به: كل من يساكنك، فيقال: جاور الرجل مجاورة وجواراً، أي: ساكنه، والجمع جيران كما يقال: جاور بعضهم بعضاً(2).

أما مفهوم الجار في الاصطلاح فهو: "النزيل بقرب منزلك"(3)، أما الجوار فيراد به: الملاصقة في السكن أو نحوه، ويدخل فيها الدكاكين والمحلات والمكاتب والشركات والمؤسسات، فصاحب المكتب جار لصاحب المكتب الذي بجانبه وهكذا، والظاهر أنه موكول إلى ما تعارفه الناس، وهم كثيرون في هذا الزمان، فلهم حقوق يجب مراعاتها، وعليهم واجبات عليهم أداؤها(4)، وتتمثل صور التعايش مع الجار المسلم من خلال الآتي:

1- الإحسان إليه وحُسن معاملته:

حث القرآن الكريم على الجار وجعل له حقوقاً تحميه من الأذية والإضرار، وأمر بالإحسان إليه، ونهى عن الإساءة إليه، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾[النساء:36]، فالوصاية هنا دون تحديد من هو الجار وعلى أي مذهب إلا إن له حقوق يجب مراعاتها.

يقول محمد أبو زهرة(5) في تفسيره: "وإن الإحسان إلى الجار هو الأمر الذى يدعو إليه إليه التآلف الإسلامي في المجتمعات الصغيرة"(6)، ويقول المراغي(7) في تفسيره: أن "الجوار ضرب من ضروب القرابة فهو قرب بالمكان والسكن، وقد يأنس الإنسان بجاره

([1]) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، (1399هـ). الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق، محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط1، (243/1).

([2]) ينظر: ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (2000م). المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، (543/7).

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، (1420هـ- 2000م). التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، (124/4).

(4) ينظر: الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس، (1393هـ). الأم، دار المعرفة، بيروت، ط2، (97/4).

(5) هو: محمد أحمد أبو زهرة، ولد بمدينة المحلة الكبرى سنة (1316هـ)، وتوفي سنة (1394هـ)، عمل وكيلاً لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية، أصدر العديد من المؤلفات ومن أشهرها: زهرة التفاسير- أصول الفقه- الوحدة الإسلامية. ينظر: الزركلي، الأعلام، (6/25- 26).

(6) زهرة التفاسير، (1677/1).

(7) هو: أحمد بن مصطفى المراغي، عالم ومفسر مصري، درس في دار العلوم، وتوفي بالقاهرة سنة (1371هـ)، له العديد من المؤلفات منها: تفسير المراغي- الوجيز في أصول الفقه- علوم البلاغة. ينظر: الزركلي، الأعلام، (258/1).

القريب أكثر مما يأنس بالنسيب، فيُحسن أن يتعاون الجاران، ويكون بينهما الرحمة والإحسان، فإذا لم يُحسن أحدهما إلى الآخر فلا خير فيهما لسائر الناس، وقد حث الدين على الإحسان في معاملة الجار ولو غير مسلم"(1)، ويؤكد ذلك قول النبي- ﷺ-: «"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره..."»(2).

فإذا حصل الانسجام والتعايش بين أفراد هذه المجموعات الصغيرة تكون منها المجتمع والمجتمعات الكبيرة المتعايشة، أما إذا فُقد حُسن الجوار فإنه يحصل التباعد والتنافر مما يجعل هذا التباعد والتنافر مانعاً من الإسهام في بناء المجتمع الكبير المتعايش على أسسه الصحيحة.

2- البُعد عن أذية الجار:

البُعد عن أذية الجار وكف الأذى عنه هو أقل ما يجب على الجار تجاه جاره، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب:58]، فكيف إذا كان المؤذي هو جارك المؤمن، فإن الإثم يكون أشد وأعظم(3).

وفي كف الأذى عن الجار يقول النبي- ﷺ-: «"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه"»(4)، ومن التطبيقات العملية في الصبر على أذية الجار ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: "جاء رجل إلى النبي- ﷺ- فشكا إليه جاراً له فقال النبي- ﷺ- ثلاث مرات: «اصبر»، ثم قال له في الرابعة أو الثالثة: «اطرح متاعك في الطريق»، ففعل، قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون: ما لك؟ فيقول: آذاه جاره، فجعلوا يقولون: لعنه الله، فجاءه جاره فقال: رد متاعك لا والله لا أوذيك أبدا"(5).

(1) تفسير المراغي، (36/5).

(2) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (د.ت). صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، الحديث رقم: (48)، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، (69/1).

(3) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (184/5).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، الحديث رقم: (5670)، (2240/5).

(5) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب: البر والإحسان، باب: الجار، الحديث رقم: (520)، (278/2). قال الألباني: حديث حديث حسن صحيح، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (د.ت). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، باب: الجار، الحديث رقم: (521)، دار با وزير، د.ط، (70/2).

وفي هذا الحديث مسألتان، الأولى: الصبر على أذى الجار، والثانية: استعمال الحكمة في معاملة الجار المؤذي بدفع الأذى بطريقة لا توقعه في الخصام والجدال.

ثانياً: التعايش مع اليتيم المسلم:

اليتيم في اللغة: هو الانفراد، واليُتم فقدان الأب، واليتم في الناس من قبل الأب، ولا يُقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ولكن يقال له منقطع، واليتيم الذي مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتم(1)، وقيل اليتيم: هو الذي يموت أبوه، والعجي الذي تموت أمه، واللطيم الذي يموت أبواه، وسمي اليتيم يتيماً لفقدان أبيه حين الحاجة إليه(2).

واليتيم في الاصطلاح: "من فقد أباه دون البلوغ "(3)، وفي العرف من لم يبلغ مبلغ الرجال، فإذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم، وإطلاق اليتيم عليه بعد البلوغ إنما هو من قبيل المجاز وليس حقيقة، وتتمثل صور التعايش مع اليتيم المسلم من خلال الآتي:

1- كفالته ورعايته:اعتنى الإسلام باليتيم عناية كبيرة من خلال التعايش معه، فحث على كفالته وتربيته ورعايته وضمان سبل العيش الكريمة له؛ حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع المسلم، ولأهمية التعامل والتعايش مع اليتيم ذُكر اليتيم في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين آية كريمة، منها الآيات الدالة على كفالته ورعايته كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[الضُّحى:6].

وكافل اليتيم هو الذي يضمّه إليه، ويلتزم برعايته والنفقة من طعام وكسوة حتى يصل إلى سن البلوغ؛ ليعيش حياة هنيئة وفق سنة الله عزوجل في تكوين المجتمعات كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان:8]، وقال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[البلد:14- 15].

كما حث النبي- ﷺ- على كفالة اليتيم وضمه إلى بيوت المسلمين وعدم تركه وحيداً في المجتمع المسلم ورغب في ذلك حين قال: «"أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً"»(4).

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (645/12).
(2) ينظر: الزبيدي، محمد، (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، (134/34).
(3) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1422هـ). التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط1، (281/1).
(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الطلاق، باب: اللعان، الحديث رقم: (4998)، (2032/5).

ومن هنا يتبين أن كفالة اليتيم وحُسن رعايته تسهم في بناء مجتمع سليم خالٍ من الحقد والكراهية، وتسود فيه روح التعايش والمحبة والمودة، وهذا ما يعزز من تلاحم ووحدة المجتمع المسلم.

2- مخالطته والإحسان إليه:

يجب ألا يُعزل اليتيم في قرى مستقلة عن المجتمعات التي يوجد بها، بل يجب أن يندمج مع أبناء مجتمعه ويخالطهم ويتعايش معهم عملاً بالتوجيهات الربانية كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[البقرة:220]، أي: "وإن تخالطوهم لرؤيتكم الخير لهم في المخالطة في المعيشة فهم إخوانكم في الدين"(1).

كما رتب الإسلام على الإحسان إلى اليتيم الأجر العظيم، وجعل الإحسان إلى اليتيم علاجاً لقسوة القلب، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- "أن رجلاً شكا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين"»(2).

3- البعُد عن زجره وقهره وسوء معاملته:

وفي التعايش مع اليتيم نهى القرآن الكريم عن زجره وقهره، وحث على مراعاة الجانب النفسي لديه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَر﴾[الضُّحى:9]، "أي: لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به"(3)، ولعظم الجُرم الذي يقوم به كل من يتعامل مع اليتيم بعنف فقد جُعل دع اليتيم- وهو دفعه وجره بعنف وجفوة- أول آيات التكذيب بالدين كما قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم﴾[الماعون:2](4).

كما أن البُعد عن زجر اليتيم وقهره ومراعاة الجانب النفسي لديه يجعل من البيت الذي يعيش فيه اليتيم من خير البيوت، فالنبي- ﷺ- كان أرحم الناس باليتيم وأشفقهم عليه حتى قال حاثاً على ذلك: «"خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه"»(5).

(1) رضا، تفسير المنار، (272/2).

(2) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الحديث رقم: (9006)، (378/2). قال الألباني: حديث حسن لغيره، ينظر: الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب: البر والصلة وغيرهما، باب: الترغيب في بر الوالدين وصلتهما وتأكيد طاعتهما والإحسان إليهما وبر أصدقائهما من بعدهما، الحديث رقم: (2545)، (314/2).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (427/8).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (105/32)، ورضا، تفسير المنار، (272/2).

(5) ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد، (د.ت). سنن ابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: حق اليتيم، الحديث رقم: (3679) تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط، (1213/2). قال الألباني: حديث ضعيف، ينظر: المرجع نفسه.

ومما سبق يتبين ضرورة التعايش مع اليتيم، وألا يُعزل عن المجتمعات التي يعيش فيها، ففي مخالطة صلاح للمجتمع حتى لا نجعلهم طبقة تشعر بالحرمان والاحتياج فتجنح عن جادة الطريق؛ لأن عزل اليتيم عن المجتمع الذي يعيش فيه قد يجعله ينشأ نافراً وعدواً للجماعة التي يعيش فيها.

المطلب الثالث

التعايش السلمي بين الجماعات المسلمة في ضوء القرآن الكريم

أولاً: مفهوم التعددية وموقف الإسلام منها:

1- مفهوم التعددية:

التعددية تعني: "تعدد أشكال الروح الاجتماعية في نطاق كل جماعة، وتعدد الجماعات داخل المجتمع"(1)، كما يُعرف المجتمع التعددي أنه: نقيض المجتمع المنصهر، فهو مجتمع كُون من عدة طوائف وجماعات مذهبية وقبلية في إطار ديني واحد، وفي الوقت الحاضر تطلق ويُقصد بها: تنوع الكيانات المختلفة في نطاق جغرافي واحد، كأن تكون كيانات فكرية، أو كيانات قبلية، أو كيانات سياسية (أحزاب) داخل دولة واحدة كوجود أكثر من حزب سياسي في النظام السياسي الواحد(2).

2- موقف الإسلام من التعددية:

يُعد الاختلاف والتعدد والتنوع في المجتمع أمراً واقعاً لا مناص منه، ولهذا اقتضت حكمة الله عزوجل أن تنشأ دولة الإسلام في المدينة المنورة تحت قيادة النبي محمد- ﷺ- وكانت مكونة من الأوس والخزرج، والمهاجرين والأنصار، ولكل طائفة من هذه الطوائف طبيعتها الخاصة التي تختلف عن الأخرى، والتي يجمعها في الأساس وحدة الدين وحبل الله المتين.

والقول بتعدد الطوائف المسلمة ليس بدعاً فقد ذكر القرآن الكريم لفظ الطوائف في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[الحُجُرات:9]، والمراد من لفظ الطوائف في الآية الجماعات المختلفة عن بعضها في بعض الأفكار، والتي يجمها في الأساس رابط الدين الواحد(3).

---

(1) بدوي، أحمد زكي، (1986م). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، (ص317).

(2) ينظر: مولود، محمد عمر، (2003م). الفيدرالية وإمكانية تطبقها في العراق، مؤسسة موكدياني للطباعة والنشر، العراق، د.ط، (ص370). والمزيني، خالد، (1431هـ- 2010م). مفهوم التعددية الفكرية تقسيماً وتأصيلاً على ضوء السياسة الشرعية، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد: 2، (ص39).

(3) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (1240/1). والمراغي، تفسير المراغي، (129/26).

وليس المقصود من تعدد الجماعات والطوائف أن يكون لكل جماعة صبغتها الدينية؛ لأن الإسلام يعتبرها جماعة واحدة، ولأن الخلاف في مجالات الدين المختلفة سبب لتعاسة الإنسان وفساد أمره وتشتت شأنه كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:105]، وهذا ما يدل دلالة قاطعة على أن الاختلاف الديني في إطار الديانة الواحدة مذموم من حيث الجملة.

ولهذا فقد وجد النبي- ﷺ- في المدينة مزيجاً إنسانياً متنوعاً من حيث الانتماء القبلي والعشائري فأسس الدولة الإسلامية الأولى على قاعدة الإخاء الإسلامي ما بين المدنيين الأوس والخزرج، والمكيين المهاجرين، ونجح في تحقيق التعايش والإخاء بين المسلمين بعيداً عن العصبية العرقية، واستمر الأمر على ما هو عليه على مر العصور وتعاقب الأيام تعدد واختلاف وأحزاب وحركات ومذاهب شتى.

ثانياً: التعايش السلمي بين الأوس والخزرج:

منذ أن قدم النبي محمد- ﷺ- إلى المدينة وحال الأوس والخزرج في توتر واضطراب، خاصة بعد حربهم الأخيرة التي سميت بحرب بعاث(1)، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران:103]، وفي هذه الآية يذكرهم الله عزوجل هذه النعمة، وكيف كانوا في الجاهلية أعداء وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد وهما الحيان العربيان في يثرب يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، لكن الإسلام تصدى لكل مكائد ودسائس اليهود وجعل من هاتين الجماعتين نموذجاً فريداً في التعايش السلمي بين الجماعات ذوي الصبغة القبلية(2).

وألف الله عزوجل بين جماعتي الأوس والخزرج كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:63]، ولما كان بينهم من العداوة والبغضاء، وكانت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة في الجاهلية أطفأها الله بنور الإيمان، والله يؤلف بين قلوب المؤمنين والتأليف بين القلوب جاء لأن رسول الله- ﷺ- أُرسل لقوم لهم عصبية وحمية وهم قبائل متفرقة تقوم

(1) بعاث: موضع بالمدينة المنورة، كانت فيه وقعة عظيمة قبل الإسلام قُتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ولم يبق من شيوخهم إلا القليل. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (1396هـ- 1971م). السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، (175/2).

(2) ينظر: قطب، في ظلال القرآن، (442/1). والزحيلي، التفسير الوسيط، (223/1).

الحروب بينهم لأتفه الأسباب؛ لأن عناصر التنافر موجودة بينهم أكثر من عناصر الائتلاف(1).

ولأن القبيلة مجتمعة تهب للدفاع عن أي فرد فيها مهما كانت الأسباب والظروف، فإن تركيبة جماعتي الأوس والخزرج كانت ذوي صبغة قبلية، وإنه كان يكفي أن يسب واحد من الأوس واحداً من الخزرج فتقوم الحرب بين القبيلتين، ولولا التعايش السلمي بين جماعتي الأوس والخزرج لما استطاعت هذه القبائل أن تواجه أعداء الإسلام ولشغلتها حروبها الداخلية عن نصرة الدين والدفاع عنه، لكن الله ألف بينهم فبعد أن كانوا أعداء أصبحوا أحباباً، وبعد أن كانوا متحاربين أصبحوا متعايشين(2).

ولا يمكن أن يجمع الجماعتين ويقوي رابط التعايش السلمي بينهما إلا أخوة في الله تصغر إلى جانبها كل الأحقاد التاريخية، والثأرات القبلية، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال(3)، كما كان للإدارة السليمة والقيادة الحكيمة لذلك المجتمع التعددي ممثلة بالنبي– ﷺ- الدور البارز في سرعة احتواء كل ما من شأنه أن يؤثر على التعايش السلمي، فبعد غزوة بني المصطلق حاول المنافقون إثارة الفتنة بما أثاروه من حادثة الإفك حتى وصل الأمر إلى المنازعة بين زعماء قبيلة الأوس والخزرج في المدينة، فقام رسول الله- ﷺ- على المنبر وقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي»، فقام سيد الأوس سعد بن معاذ فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فاحتملت الحمية سيد الخزرج سعد بن عبادة فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير- وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان من الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله- ﷺ- قائم على المنبر فلم يزل رسول الله- ﷺ- يخفضهم حتى سكتوا وسكت(4).

وهكذا كان للقيادة الحكيمة ممثلة بالنبي– ﷺ- الفضل الكبير في الحد من وقوع هاتين الجماعتين في حروبهم السابقة؛ كونه المرجع والقائد لفض كل نزاع يحدث، وكان يتم القضاء

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (84/4). والشعراوي، تفسير الشعراوي، (3323/1).
(2) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (3323/1).
(3) ينظر: قطب، في ظلال القرآن، (443/1).
(4) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، الحديث رقم: (3910)، (1517/4).

على محاولات الانجرار وراء أي خلاف من شأنه أن يُعكر صفو الأمن والاستقرار، ويتم القضاء على كل محاولات العبث بمبدأ التعايش السلمي الذي ينعم به أهل المدينة، كما كان للعقلاء من الأوس والخزرج الدور البارز في سرعة الاستجابة لكل ما يأمرهم به قائدهم– ﷺ- مما ساعد ذلك على رأب الصدع، وزاد من تقوية روابط التعايش السلمي بين الجماعتين.

لقد تعايش الأوس والخزرج في ظلال الإسلام ودفنوا ماضيهم الأسود البغيض بالرغم من اختلاف القبيلتين، وكان لهذا التعايش ثماره الطيبة في قابل الأيام، إذ هيأ للجميع وحدة الصف خاصة في الأوقات الحالكة من ملاقاة الأعداء، وصدق الشاعر حين قال:

"وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا"(1).

والخطاب في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾[آل عمران:103]، هو خطاب عام لكل المؤمنين في كل الأجيال والأزمان، ويدخل في عمومه كل الأجناس وكل الشعوب، فالدعوة إلى التذكر دعوة عامة وهي تذكر لماضي الانقسام ثم من بعده الاتفاق والوئام والطريق إلى الوحدة(2).

ولو قيل: لماذا اعتبر الاختلاف السابق الخاص كأنه اختلاف عام وخُوطب به المؤمنون جميعاً؟ والجواب عن ذلك أن هذا للدلالة على وحدة الأمة، فما كان من ماضيها يخاطب به حاضرها للاعتبار والاتعاظ، ولأن سبب الاختلاف في كل نفس لا يقع منه إلا الهداية، فما وقع من الماضين يتوقع أن يقع من الحاضرين؛ لأن الإنسان ابن الإنسان، ولأن الخلاص طريقه واحد فما خلص به الماضون يخلص به الحاضرون إن اعتزموا سلوك ما سلكه الذين من قبلهم(3).

ثالثاً: التعايش السلمي بين المهاجرين والأنصار:

ترك المهاجرون أوطانهم وأهلهم ونزلوا في المدينة ضيوفاً على مجتمع متكون من تركيبة قبلية ودينية تختلف تماماً عن مجتمع مكة، كما أنه مختلف من حيث نظامه الاقتصادي القائم على النشاط الزراعي، وقد عانى المهاجرون هماً في طريق هجرتهم وقطعوا كل خطوط الرجعة إلى موطنهم الأصلي بمكة، وهنا جسد الأنصار عملياً مبدأ التعايش السلمي مع إخوانهم المهاجرين في أحسن صورة، والذي أخبر به الله عزوجل وقال مادحاً هذا

(1) القلقشندي، أحمد بن علي، (1987م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق، يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط1، (271/14).
(2) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (1341/1).
(3) ينظر: المرجع نفسه.

المجتمع على مواقفه الطيبة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:9](1).

لقد استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين بالحفاوة واحتضنوهم وفعلوا معهم نموذجاً من الإيثار ليس له مثيل في تاريخ البشرية، وهل هناك إيثار أعظم من أن يعرض الأنصاري زوجاته على المهاجر فيقول له: اختر إحداهما أطلقها لك، إلى هذه الدرجة فعل الإيمان بنفوس الأنصار مع إخوانهم المهاجرين؛ وهذا ما عزز من روابط التعايش السلمي بين الجماعتين(2).

وتداخلت جماعة المهاجرين مع إخوانهم الأنصار في مجتمع أصبح تعززه الروابط الوثيقة والمشتركات الكلية، وجاءت وثيقة المدينة لتؤكد ذلك وترعاه وتضبطه، وهذا التعايش كان واضح المعالم في السكنى وحُسن الجوار، وحالات الزواج، والمعاملات المالية، والتعاون في الدفاع عن المدينة، وأصبح قادة السرايا من الطرفين، وهذا ما يؤكد على وعي أفراد الجماعتين.

وهناك العديد من النماذج لهذا التعايش، فعلى مستوى حُسن الجوار أثنى المهاجرون كثيراً على الأنصار، فحين سأل عروة بن الزبير(3)- رضي الله عنهما- يوماً خالته أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- زوجة النبي- ﷺ- فقال: "يا خالة فيما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر، والماء، إلا أنه كان لرسول الله- ﷺ- جيران من الأنصار نِعم الجيران، كانت لهم منائح فكانوا يمنحون رسول الله- ﷺ- من ألبانها فكان يستقينا منه"(4).

ومن غير المستغرب أن تسجل كتب السيرة حوادث مهمة كانت غاية في تجسيد مفهوم التعايش السلمي بين الجماعتين، ومنها التنازل عن الحقوق المالية ومراعاة ظروف المهاجرين، ومن ذلك ما حدث في توزيع الغنائم بعد حنين وكيف أدى التعايش السلمي في إقامة مجتمع يبذل كل ما بوسعه؛ من أجل ألا يفقد هذه الروابط المهمة، فحين أعطي رسول الله- ﷺ- ما أعطي من تلك العطايا ولم يكن في الأنصار منها شيء؛ فوجد الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي رسول الله- ﷺ- قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (82/28).

(2) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (6360/1).

(3) هو: عروة بن الزبير بن العوام، ولد سنة (22هـ)، أمه أسماء بنت أبي بكر، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن، وتوفي في المدينة سنة (93هـ). ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، (85/2).

(4) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب: التاريخ، باب: من صفاته ﷺ وأخباره، الحديث رقم: (6348)، (258/14). قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لهذا الكتاب: هذا الحديث إسناده صحيح، ينظر: المرجع نفسه.

الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد»، قال: يا رسول الله ما أنا الا امرؤ من قومي، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة»، فخرج سعد فجمعهم في تلك الحظيرة، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، ثم دخل عليهم رسول الله- ﷺ- فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: «يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم»، قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل، قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار»، قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل، قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مُكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك، وعائلاً فأغنيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعَاعَة(1) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله- ﷺ- في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»، فبكى القوم حتى أخضلت لحاهم(2).

ولم يسجل التاريخ أي حالة تضايق من الأنصار تجاه المهاجرين ما عدا بعض الحالات الفردية من بعض أهل المدينة وهم (المنافقون)، لكن مثل هذه الحالات كان يرد عليها بعنف ومن أقرب الناس إليهم، كما حدث مع عبدالله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق فحاولوا أن يسمعوهم بعض الكلمات التي تخالف مبدأ التعايش السلمي، وقد فضح القرآن الكريم هذه المواقف في سورة كاملة هي سورة (المنافقون)، ومنها قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُون﴾[المنافقون:8]، وقد تداعى قادة الأنصار إلى رفض هذا الأسلوب ثم سرعان ما تم احتواء الموقف والعودة إلى الحالة الطبيعية من التعايش(3).

(1) اللُّعَاعَة: أول ما يبدو من النَّبْت وهو طريّ ناعم جعلَه. ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (1397هـ). غريب الحديث، تحقيق، عبدالله، مطبعة العاني، بغداد، ط1، (306/1).

(2) ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-، الحديث رقم: (11753)، (76/3). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، ينظر: المرجع نفسه. وقال الألباني: حديث صحيح، ينظر: الغزالي، محمد، (1998م). فقه السيرة، تحقيق، الألباني، دار القلم، دمشق، ط7، (397/1).

(3) ينظر: السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد، (1421هـ- 2000م). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق، عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (23/7).

إن التعايش السلمي بين الأنصار والمهاجرين كانت له ثمار طيبة في قابل الأيام، وهذا يعطي درساً أن التعايش السلمي داخلياً يؤدي إلى تماسك المجتمع، وحري بنا اليوم استلهام العبر وأخذ الدروس النافعة في تعميم ذلك على مجتمعاتنا، وأن نتضامن ونتعاون في تنفيذ ما اتفقنا عليه قولاً وفعلاً، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

كما يجب تعلم أدب الخلاف، وتعميق أصول الحوار والإقرار بأهميتهما، وضرورة امتلاك أدواتهما الصحيحة في ضوء الكتاب والسنة، وتحاشي كل العصبيات الجاهلية من التعصب للعشيرة أو الطائفة أو الجماعة، والبعد عن التشدد والحذر من آفاته ونتائجه السلبية، والأصل بين الجماعات الإسلامية الوحدة، فإن تعذر ذلك فالتعايش، وإلا فالثالثة الهلاك والعياذ بالله.

المبحث الثالث

العوامل المؤثرة على التعايش السلمي بين المسلمين ووسائل تحقيقه في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: العوامل المؤثرة على التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم

أولاً: الخلاف وفساد ذات البين:

الخلاف والتنازع داء يهدد أمن واستقرار الأمة الإسلامية ويؤثر سلباً على التعايش بين المسلمين؛ لأنه يفضي إلى فساد ذات بين المسلمين، ومن ثم يظهر البغي والفتن والقتل والسلب والنهب قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:46](1)، يقول ابن عاشور(2) في تفسيره: "والتنازع شدة الاختلاف، وهو تفاعل من النزع، أي: الأخذ"(3)، ويقول الجصاص(4) في تفسيره: "وفي التنازع والاختلاف فساد ذات البين، وذهاب الدين والدنيا"(5).

كما نجد في صدد تحذير المسلمين من التفرق والاختلاف العديد من الآيات القرآنية الكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام:159]، وقد قيل: إن هذه الآية عنت الذين فرقوا

---

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (135/27).

(2) هو: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، ولد في تونس سنة (1296هـ)، وتوفي فيها سنة (1393هـ)، له العديد من المؤلفات منها: التحرير والتنوير- مقاصد الشريعة الإسلامية- موجز البلاغة. ينظر: الزركلي، الأعلام، (174/6).

(3) التحرير والتنوير، (166/4).

(4) هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص، ولد في بغداد سنة (305هـ)، وتوفي فيها سنة (370هـ)، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، له العديد من المصنفات ومن أشهرها: أحكام القرآن- أصول الفقه. ينظر: القرشي، عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء، (د.ت). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ط، (84/1- 85).

(5) أحكام القرآن، (1405هـ). تحقيق، محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، (274/2).

دينهم من أمة محمد، وأنها محكمة، وحكم الآية هو بالنسبة لمن يكون بعده من أمته، ويكون مداها إعلاناً مسبقاً لبراءة النبي- ﷺ- من أهل البدع والأهواء والضلالة والشبهات من أمته(1).

يقول الزبير بن العوام– رضي الله عنه- كنا نقرأ على عهد رسول الله- ﷺ- وأبي بكر وعمر وعثمان- رضي الله عنهم-: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت وأصبحنا نحن المعنيون بها، وقيل: إن هذه الآية نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير، وعلم ذوو الألباب من أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- حين نزلت هذه الآية أنه سيكون فتن، فأصابتهم يوم الجمل، فاقتتلوا فكان من المقتولين طلحة والزبير(2).

وهذه الآية عامة إلى يوم القيامة; لأنها بيان لسنة من سنن الله تعالى في الأمم والملل، وكانت فتنة عثمان أول هذه الفتن التي اختلفت فيها الآراء، فاختلفت الأعمال من أهل الحل والعقد، وأعقبها فتنة الجمل وصفين، ثم ابن الزبير مع بني أمية، ثم قتلهم الحسين– رضي الله عنه- فخلا الجو للمفسدين من السبئيين وأعوانهم من زنادقة اليهود فأوقدوا نار الفتنة بين المسلمين، وتبعتها فتن كثيرة لا يزال المسلمون مصابين بها ومعذبين بعذابها وأكبرها فتن الخلافة والملك، وفتن افتراق المذاهب(3).

وفي التحذر من التفرق والخصام وفساد ذات بين المسلمين، يقول النبي- ﷺ-: «"ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة»، قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين"»(4).

وفي صدد التحذير من الوقوع في التنازع والخلاف المؤدي إلى إشعال فتيل نار الحرب بين المسلمين نجد الرسول- ﷺ- يحذر من الوقوع في الفتن والقتال بين المسلمين، فقال: «"ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"»(5). بعض"»(5).

([1]) ينظر: دروزة، محمد عزت، (1383هـ). التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، (198/4).

(2) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (1420 هـ- 2000م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (473/13). ورضا، تفسير المنار، (530/9).

(3) ينظر: رضا، تفسير المنار، (531/9).

(4) الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب: الزهد، الحديث رقم: (2509)، (663/4). قال الألباني في تعليقه على الكتاب: حديث صحيح، ينظر: المرجع نفسه.

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حجة الوداع، الحديث رقم: (1598)، (1414/4).

وبسبب حب العلو والتسلط على الآخر امتزجت الخلافات والفتن المذهبية بالخلافات والفتن السياسية الخاصة بالخلافة والحكم والسلطان، فكانت فتنة الخلاف بين أهل السنة والشيعة أشد مصائب هذه الأمة وأدومها، فزالت الخلافة التي تنازعوا عليها وتنافسوا فيها وتقاتلوا لأجلها ولم تزل آثار تلك الفتنة إلى اليوم، بل تزداد قوة وحدة، وهذا من أهم ما تأثر به التعايش السلمي بين المسلمين عبر العصور، وكان سبباً يفتك بكيان الأمة الإسلامية ويبعثرها إلى شيع متناحرة(1).

ثانياً: العصبية:

أذن الله عزوجل لنور الإسلام أن يبدد ظلمات الجاهلية، ويحرر العباد من التقاليد البالية والمفاهيم الخطأ، فجاءت التشريعات العادلة، وتنزلت الأحكام الحكيمة، وفُرضت الحقوق، وحُددت الواجبات، ولم يترك الإسلام أمراً يصلح أحوال الناس إلا أمرهم به، ومن المفاهيم الجاهلية التي عمل الإسلام على تصحيحها العصبية.

ولقد كادت العصبية أن تشعل فتيل الحرب بين قبيلتي الأوس والخزرج بعد أن هداهم الله إلى نور الإسلام لولا تدخل القرآن الكريم، فحين كانوا جلوساً فذكروا ما كان بينهم من الحرب أخذتهم الحمية وغضب بعضهم على بعض وتثاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا للقتال، فبلغ ذلك النبي- ﷺ- فأتاهم فجعل يسكنهم ويتلوا عليهم هذه الآية والتي كان سبب نزولها هذه الحادثة: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[آل عمران:103]؛ فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح، وكل ذلك كان بسبب العصبية(2).

كما كادت العصبية أن تؤثر على التعايش السلمي بين جماعة المهاجرين وجماعة الأنصار في المدينة لولا تدخل النبي- ﷺ- ونهيهم عنها، فحين "كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله- ﷺ- فقال: «ما بال دعوى جاهلية»، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة"»(3)، وفي رواية «"دعوها فإنها

(1) ينظر: رضا، تفسير المنار، (531/9).

(2) ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (د.ت). أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، (77/1).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، الحديث رقم: (4622)، (1861/4).

خبيثة"»(1)، هكذا وصف النبي- ﷺ- العصبية بالأوصاف القذرة؛ لما لها من أثر كبير في شق صف الأمة وتمزيق لحمتها.

وآفة المسلمين اليوم هو في التعصب للطائفة أو المذهب أو الحزب أو الجماعة أو القبيلة، وهذا التعصب الأعمى هو الذي توغل في نفوس البعض؛ مما جعلهم يتسرعون في إصدار الأحكام على غيرهم من المسلمين واتهامهم بالكفر لمجرد الاختلاف في بعض وجهات النظر الاجتهادية.

ثالثاً: الحسد:

إن من حكمة الله عزوجل أن جعل البشر متفاوتون في الرزق، فيرزق هذا علماً، وذاك صلاحاً، وآخر مالاً، والحسد أحد الآفات الخطيرة وداء خبيث يؤثر على التعايش السلمي، وإذا ما تفشى هذا الداء بين المسلمين فإنه يقتلع جذور المحبة والتعايش بينهم ويزرع بذور العداوة(2).

وإذا تغلغل الحسد في النفس فإنه يجعل الإنسان يقدم على ارتكاب جريمة القتل حتى في حق أقرب الناس إليه، كما حدث في قصة ابني آدم- عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِين﴾[المائدة:27]، فبين الله عزوجل في هذه القصة عاقبة البغي والحسد وكيف تعدى أحدهما على الآخر فقتله بغياً عليه، وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة(3).

ولأن قابيل أراد أن يقتل أخاه هابيل بدافع الحسد وبغريزة الاستعلاء ونازعته نفسه بالخوف من الإثم، وقد دارت المراودة في نفس قابيل إلى أن سيطرت غريزة الاستعلاء فأمرت بالقتل، وطوعت بقية النفس، وهذا يكشف أن النفس البشرية فيها ملكات متعددة كل ملكة لها مطلوب، والدين هو الذي يقيم التعايش السلمي بين الملكات(4).

(1) المرجع نفسه، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية، الحديث رقم: (3330)، (1296/3).
(2) ينظر: سكيك، مها محمد عرفة، (1431هـ- 2010م). ذوي القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، (ص198).
(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (81/3- 82).
(4) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (1893/1).

يقول تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[المائدة:30]، وتضمنت هذه الآيات بيان "حال الحاسد حتى أنه قد يحمله حسده على إهلاك نفسه بقتل أقرب الناس إليه قرابة وأمسه به رحماً وأولاهم بالحنو عليه ودفع الأذية عنه"(1).

وفي قصة يوسف- عليه السلام- مع إخوته مثال آخر للحسد والذي بدوره أثر على التعايش مع إخوته، ووصل بهم الحسد إلى حد التفكير في ارتكاب جريمة القتل حتى في حق أقرب الناس إليهم، كما أدى إلى عقوق الوالد والتطاول عليه، وقد أورد القرآن الكريم هذه القصة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف:8].

ولأن الحسد يؤثر على التعايش بين المسلمين بطريقة مباشرة فقد حذر منه رسول الله- ﷺ- حين قال: «"لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام"»(2)، ويتبين من هذا الحديث الشريف أن التباغض والتحاسد والتدابر هم السبب في القطيعة بين المسلمين التي يؤثر على التعايش السلمي بينهم ويُهدد بزواله.

رابعاً: دسائس اليهود:

لقد استطاع اليهود عبر العصور أن يؤثروا على التعايش السلمي بين المسلمين، فحين كبر على اليهود أن يروا مركز النبي- ﷺ- يقوى ودعوته تتسع، ورأوا أن هذا إنما كان بتآخي قبيلتي الأوس والخزرج، وتناسيهما نتيجة ما كان بينهما من عداء وحروب في الجاهلية، فتآمروا على إثارة الفتنة بينهما.

ومن دسائس اليهود التي كادت أن تستأصل التعايش السلمي بين المسلمين لولا تدخل القرآن الكريم لإنهاء فتيل الفتنة بين المسلمين ما قام به اليهودي شاس بن قيس حين مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه؛ فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فأمر شاباً من اليهود أن يعمد إليهم ويذكرهم بيوم بعاث وما كان قبله وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج قبل الإسلام وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (141/6).
(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، الحديث رقم: (5718)، (2253/5).

بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[آل عمران:100]، فعرف القوم أنها من دسائس اليهود وكيدهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع(1).

إن الذي يشعل فتيل الحرب اليوم بين المسلمين عبر العصور هم اليهود، وكلما هدأ القتال بين المسلمين أهاجوا أحد المعسكرين على الآخر ليعود القتال من جديد، وهم كذلك حتى الآن وهذه هي طبيعتهم، والواجب على الأمة المسلمة أن تصلح نفسها من الداخل بالتسلح بسلاح العقيدة قولاً وعملاً وواقعاً، وأن تحذر من دسائس اليهود وحيلهم، وأن تستيقظ من سبات نومها وأن تتمسك بقرآنها وتأخذ منه الدروس والعبر وعدتها الواقية التي تقيها من خطر الدسائس اليهودية.

خامساً: وساوس الشيطان:

من العوامل التي تؤثر على التعايش السلمي بين المسلمين أن يتبع المسلم وساوس الشيطان فيزين له سوء عمله فيقدم على عداوة أخيه المسلم، وقد حذر القرآن الكريم من وساوس الشيطان التي من خلالها يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين، ووضح أن التفرق والاختلاف ما هو إلا حبيلة من حبائله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾[المائدة:91].

ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة فإنه في نفس الآية حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ووساوسه، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة:208]؛ لأنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان، إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان الذي يعمل على طلب الدنيا والمنازعة وزرع فتيل الخلاف بين المسلمين(2).

كما أن وساوس الشيطان ونزغه لا يقتصر على المتخاصمين والمتجادلين حول أي مبدأ، بل ينزغ حتى بين الإخوة والأهل والأحبة، وقد تأثر التعايش بين يوسف- عليه السلام-

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (55/6- 56).
(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (177/5). وقطب، في ظلال القرآن، (211/1).

وإخوته بسبب وساوس الشيطان ونزغه كما قال تعالى: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[يوسف:100]، ونزغ، أي: حرّش وأفسد ما بينهم من العلاقة الأخوية وأفسد التعايش بينهم(1).

فالشطان قد يئس أن يعبده المسلمون، لكنه لم ييأس من التحريش بينهم كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه جابر بن عبدالله- رضي الله عنه- قال: "سمعت النبي- ﷺ- يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»، أي: ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها"(2).

المطلب الثاني

وسائل تحقيق التعايش السلمي بين المسلمين في ضوء القرآن الكريم

أولاً: إصلاح ذات البين:

إصلاح ذات البين وسيلة من وسائل إعادة التوازن في الحياة، وتسكين هياج النفوس، ومظلة تحمي الحقوق وتشيع الأمن والسلام بين الناس، وفي صدد الحث على إصلاح ذات البين وردت الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على ذلك منها قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِين﴾[الحُجُرات:9]، وهذه الآية تُعد من الآيات التي احتوت تعليماً تاماً في شأن ما يحدث من نزاع وقتال بين فريقين من المسلمين، ووجهت إلى الفريق الذي ليس طرفاً في النزاع بين الطائفتين المسلمتين، وأوجبت عليه بألا يقف موقف الساكت المتفرج، بل يسارع إلى التدخل والإصلاح بين الفريقين المتنازعين وإحقاق الحق لصاحبه، ونصرة المظلوم المبغى عليه(3).

والملاحظ أن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة قد سمى الطائفتين مؤمنتين، ومعنى ذلك أن الإيمان لا يمنع أن نختلف، وقد روي أن سائلاً سأل الإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عن الذين قاتلهم وقاتلوه في واقعتي الجمل وصفين هل هم مشركون؟ قال: لا إنهم

(1) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (1992م). النكت والعيون، تحقيق، السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (84/3).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، الحديث رقم: (2812)، (2166/4).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (292/22). ودروزة، التفسير الحديث، (506/8).

من الشرك فرّوا، فسأله هل هم منافقون؟ قال: لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلاً، فسأله: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا(1)، وهذا الإيمان الذي لا يمنع أن نختلف هو الذي يوجب علينا أن يكون منا طائفة معتدلة على الحياد تقوم بدور الإصلاح، حتى يعود الجميع إلى حظيرة الأمن والسلام والتعايش(2).

وفي صدد إصلاح ذات البين نجد الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحث المسلمين على إصلاح ذات بينهم، ومنها الأحاديث التي تبرر استعمال أي أسلوب في سبيل إصلاح ذات البين، ففي الحديث الذي روته أم كلثوم بنت عقبة عن النبي- ﷺ- قال: «"ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً"»(3)، وأحاديث تشتمل على الترغيب في إصلاح ذات البين، منها قول النبي- ﷺ- لأبي أيوب: «"ألا أدلّك على تجارة»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «تسعى في صلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا"»(4)، وأحاديث تشتمل على الترغيب في إصلاح ذات البين والترهيب من فساد ذات البين، ومنها قول النبي- ﷺ- «"ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة»، قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين"»(5).

ونخلص من هذا أنه إذا نشب خلاف ونزاع وقتال بين المسلمين، سواء كان هذا الخلاف بين شخصين، أو بين قبيلتين، أو بين حزبين، أو بين جماعتين، أو حتى بين دولتين أو أكثر منهما، وجب على سائر المسلمين الإسراع إلى المداخلة وحل المشكلة في نطاق ذلك الأساس، والتضامن في فرض قبول الحل على المبطل.

ثانياً: توحيد الكلمة:

تُعد الوحدة بين المسلمين من الأمور المهمة في نشر ثقافة التعايش، وقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى التوحد ونبذ الفرقة في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ

(1) ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق، عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (259/4).

(2) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (7073/1).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، الحديث رقم: (2546)، (958/2).

(4) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق، (2009م). مسند البزار، الحديث رقم: (6633)، تحقيق، محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، (185/13). قال الألباني: حديث حسن لغيره، ينظر: الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب: الأدب وغيره، باب: الترغيب في الحياء وما جاء في فضله والترهيب من الفحش والبذاء، الحديث رقم: (2818)، (45/3).

(5) سبق تخريجه.

أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[المؤمنون:52]، فالمسلمون في نظر الدين الإسلامي وحدة واحدة، تحكمهم شريعة واحدة، لا فرق بين الحاكم والمحكوم، ولا بين الغني والفقير.

كما أن وحدة الصف وإجماع الكلمة بين المسلمين دعامة وطيدة في نشر ثقافة التعايش السلمي، وأن الاختلاف والتشاحن وإظهار البغضاء بين المسلمين يولد الكراهية في النفوس، ولتوحيد كلمة المسلمين قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:103]، وبالاعتصام بحبل الله تعالى تتحقق وحدة الكلمة، ويتم القضاء على كل أنواع الفرقة والشتات، وهذا ما يعزز التعايش السلمي بين المسلمين.

وقريب من الآية السابقة في تلاحم ووحدة المجتمع المسلم فقد أخبر النبي محمد- ﷺ- أن المسلمين في وحدة بنيتهم كمثل الجسد الواحد فقال: «"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"»(1).

ثالثاً: العفو والصفح:

العفو والصفح متلازمان ويكمل كلٌ منهما الآخر لذلك يحث الله عزوجل على الصفح بعد العفو: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾[النور:22]، والعفو والصفح هو أحد البلاسم الناجحة في تحقيق التعايش السلمي بين المسلمين، وقد أمر الله تعالى رسوله- ﷺ- بالعفو في الكثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف:199].

كما وردت الكثير من الآيات القرآنية التي طالبت بالعفو مع القصاص كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[الشورى:40]، فكان القصاص سائغاً والعفو والتسامح والصفح مندوباً إليه، فكان ختم الآية بالعفو والغفران له موقعه وهو من الأسلوب الحكيم الذى لا يعلو إليه متكلم فى الأرض، ويبين أن حرب الإسلام العادلة يؤثر الله فيها الصفح من أهل الإيمان ما كان سبيلاً إليه إذ إنها ليست للانتقام وإلا تكررت الحروب، فهذا الفريق يقتص ثم الفريق الآخر يبغى ويتوالى القصاص والبغي، وفتح باب العفو يغلق باب الحرب(2).

وفي صدد العفو والصفح وردت الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحث على ذلك، منها ما رواه أبو هريرة– رضي الله عنه- قال: "أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما

(1) سبق تخريجه.

(2) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (5015/1).

قلت فكأنما تُسِفُّهُمْ الْمَلّ(1)، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك"»(2)، وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: "جاء رجل إلى النبي- ﷺ- فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله- ﷺ- ثم قال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «كل يوم سبعين مرة"»(3)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي- ﷺ- قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(4)، وهكذا تكون الأخلاق الكريمة ويكون العفو والصفح سبباً لزوال الخلاف والقطيعة، وسبباً لاستمرار التعايش.

رابعاً: التكافل والتراحم:

التكافل والتراحم بين الناس هما من مقومات ووسائل تحقيق التعايش السلمي بين المجتمعات الإسلامية على مستوى الأسرة والجيران والحي والمجتمع بأسره كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:29]، فالرحمة ليست خلقاً ثابتاً، ولا الشدة خلقاً ثابتاً، ولكن المؤمنين ينفعلون للأحداث، فحين يكون المؤمن مع المؤمنين فهو رحيم رقيق القلب للمؤمنين، وحين يكون في مواجهة الكفار فهو قوي وشديد(5).

والإسلام يجمع بين أمرين متناقضين فلم يجئ الإسلام كي يطبع الإنسان ليكون شديداً؛ لأن هناك مواقف شتى تتطلب الرحمة، ولم يطبعه على الرحمة المطلقة؛ لأن هناك مواقف تتطلب الشدة، فلم يطبع الإنسان في قالب، ولكنه جعل المؤمن ينفعل للحدث كما قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:54]، وهذا التصور الإيجابي يُنشئ في قلب المسلم روح التسامح والتعايش(6).

وقد جسد القرآن الكريم أرقى صور التكافل والتراحم الاجتماعي بين جماعتين مسلمتين هما: جماعة المهاجرين وجماعة الأنصار في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ

(1) الْمَلّ: الرماد الحار، وتُسِفُّهُمْ الْمَلّ، أي: ترمي التراب والرماد المحمي في وجههم. ينظر: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (1392هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، (115/16).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، الحديث رقم: (2558)، (1982/4).

(3) الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: العفو عن الخادم، الحديث رقم: (1949)، (336/4). قال الألباني في تعليقه على الكتاب: حديث صحيح، ينظر: المرجع نفسه.

(4) مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، الحديث رقم: (2588)، (2001/4).

(5) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (261/22). والشعراوي، تفسير الشعراوي، (1157/1).

(6) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (2096/1).

هُمُ الصَّادِقُون وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[الحشر:8- 9]، وكان لهذا التكافل والتراحم صوره الرائعة والمتميزة، فقد جعل من التعايش السلمي بين الجماعتين تعايشاً ليس له نظير في أي مجتمع من المجتمعات.

وفي التوجيهات النبوية في الحث على التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع المسلم والذي من خلاله يتقوى رابط التعايش يقول النبي- ﷺ-: «"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"»(1)، وفي التكافل بين جميع أفراد المجتمع المسلم يقول- ﷺ- «"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، ثم شبك بين أصابعه"(2).

ومما تمَّ عرضه ودراسته من الوسائل التي تُسهم في تحقيق التعايش السلمي بين المسلمين فإنه يتبين أن هذه الوسائل تُسهم في تكوين مجتمع إسلامي يسوده التعاون والتكاتف والتراحم والتعايش، كما أن جميع هذه الوسائل تُسهم في تحقيق التعايش السلمي التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن خلالها ينبغي على الإنسان المسلم تطبيقها في واقع الحياة العملية؛ حتى يسود بين جميع أفراد المجتمع المسلم التعايش والتآخي.

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد- صلى الله عيه وسلم-، من خلال ما تم عرضه في هذا البحث يتبين ضرورة التعايش بين المسلمين لما يمثله الصراع بين المسلمين اليوم من خطر محد يهدد الأفراد والجماعات، ولتحقيق ذلك لابد من العودة إلى القرآن الكريم والتمسك به كمنهاج حياة للمسلمين.

ومما ينبغي الحث عليه ضرورة تبني الجهات والمؤسسات القائمة والمشرفة على التربية والتعليم مفاهيم التعايش السلمي وتضمينها في المقررات الدراسية، وعلى الدولة أن تقوم بإصدار تشريعات وسياسات من شأنها أن تُسهم في ترسيخ مبادئ التعايش السلمي بين المسلمين.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج منها:

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم: (2586)، (1999/4).
(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، الحديث رقم: (5680)، (2242/5).

1- جاء مصطلح التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح بمدلول له معنى واحد، وهو قبول الآخر، وكيفية القبول بهذا الآخر، وهذا عزز من بيان مفهوم مصطلح التعايش السلمي.
2- لم يرد مصطلح التعايش السلمي في القرآن الكريم، لكن وردت مصطلحات ترادف هذا المصطلح مثل: السلم، والعفو والصفح، والإحسان، التي هي ضد الغلو والتطرف والعنف.
3- للتعايش السلمي أهمية كبيرة وخلاصتها أن التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم ضرورة بشرية وحاجة إنسانية؛ لإعمار الكون وتحقيق التقدم والرخاء للبشرية مهما اختلفت عقائدهم.
4- احتوت بعض الآيات القرآنية الكريمة على الكثير من المبادئ والأصول التي يقوم عليها التعايش السلمي، وهي مبادئ مرتبطة بالجوانب الإنسانية، وجوانب المعاملة.
5- تضمنت الكثير من الآيات القرآنية على ذكر العوامل التي تؤثر سلباً على التعايش السلمي بين المسلمين، وعلى الكثير من الآيات القرآنية المعززة للتعايش السلمي بين المسلمين.

فهرس المصادر والمراجع:

1- إبراهيم مصطفى، وآخرون، (د.ت). المعجم الوسيط، تحقيق، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ط.
2- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، (1399هـ- 1979م). صفة الصفوة، تحقيق، محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط3.
3- ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
4- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي، (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة، بيروت، د.ط.
5- ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، (1419هـ- 1998م). مسند أحمد بن حنبل، تحقيق، السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط1.
6- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (د.ت). الاشتقاق، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3.
7- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (2000م). المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.

8- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، (1420هـ- 2000م). التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1.
9- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (1397هـ). غريب الحديث، تحقيق، عبدالله، مطبعة العاني، بغداد، ط1.
10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، (1420هـ- 1999م). تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2.
11- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (1396هـ- 1971م). السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط.
12- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد، (د.ت). سنن ابن ماجه، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط.
13- ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1.
14- أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجِستاني، (د.ت). سنن أبي داود، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، د.ط.
15- أبو زهرة، محمد، (د.ت). زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.
16- أحمد بن علي المكني بأبي بكر، (1405هـ). أحكام القرآن، تحقيق، محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
17- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ت). صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط5.
18- الألباني، محمد ناصر الدين، (1414هـ). تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2.
19- الألباني، محمد ناصر الدين، (د.ت). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، دار با وزير، د.ط.
20- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، د.ب.
21- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
22- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (1407هـ- 1987م). صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3.

23- بدوي، أحمد زكي، (1986م). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط2.
24- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق، (2009م). مسند البراز، تحقيق، محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1.
25- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، (1414هـ- 1993م). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
26- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق، عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
27- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (1415هـ- 1995م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق، عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
28- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق، أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
29- الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، (1418هـ- 1997م). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق، علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
30- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، (1441هـ- 1990). المستدرك على الصحيحين، تحقيق، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (670/2).
31- حقي، إسماعيل بن مصطفى، (د.ت). تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، د.ط.
32- الخطيب، عبدالكريم، (د.ت). التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.
33- دروزة، محمد عزت، (1383هـ). التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط.
34- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (1405هـ- 1985م). سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3.

35- ذوقان عبيدات، وآخرون، (2003م). البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمَّان، ط5.
36- الرازي، فخرالدين محمد بن عمر التميمي، (1421هـ- 2000م). مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
37- رضا، محمد رشيد، (1990م). تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.
38- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق، (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط.
39- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1422هـ). التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط1.
40- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (2002م). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15.
41- الزعبي، فاروق فالح، (2005م). حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون الدولي دراسة تحليلية مقارنة، مجلة الحقوق، الكويت، العدد: 4.
42- السباعي، مصطفى، (1420هـ). من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1.
43- السعدي، عبدالرحمن، (1420هـ- 2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
44- سكيك، مها محمد عرفة، (1431هـ- 2010م). ذوي القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.
45- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (1413هـ- 1993م). بحر العلوم، تحقيق، محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
46- السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد، (1421هـ- 2000م). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق، عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
47- الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس، (1393هـ). الأم، دار المعرفة، بيروت، ط2.
48- الشعراوي، تفسير الشعراوي، د.ب.
49- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر، (1415هـ- 1995م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط.

50- صالح، سعاد إبراهيم، (1400هـ- 1980م). علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، القاهرة، ط3.
51- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (1415هـ). المعجم الأوسط، تحقيق، طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، د.ط.
52- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (1420 هـ- 2000م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
53- طنطاوي، محمد سيد، (1404هـ- 1984م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة السعادة، مصر، د.ط.
54- العظيم آبادي، (1388هـ- 1968م). عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق، عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2.
55- العكري، عبدالحي بن أحمد بن محمد، (1406هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، عبدالقادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير، د.ط.
56- الغزالي، محمد، (1998م). فقه السيرة، تحقيق، الألباني، دار القلم، دمشق، ط7.
57- الغزالي، محمد، (د.ت). كيف نتعامل مع القرآن، دار نهضة، مصر، ط1، (ص159).
58- القرشي، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، (1990م). العيال، تحقيق، نجم عبدالرحمن خلف، دار ابن القيم، الدمام، ط1.
59- القرشي، عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء، (د.ت). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ط.
60- القرضاوي، يوسف، (2005م). غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6.
61- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، (1384هـ- 1964م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2.
62- قطب، سيد إبراهيم، (1399هـ- 1979م). في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط8.
63- القلقشندي، أحمد بن علي، (1987م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق، يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط1.

64- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (1992م). النكت والعيون، تحقيق، السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
65- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري، (1405هـ). أدب الدنيا والدين، دار اقرأ، بيروت، ط4.
66- المبارك، هاني، وخليل، شوقي، (1996م). الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر، دمشق، د.ط.
67- المباركفوري، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، د.ب.
68- المبرد، يوسف بن حسن بن عبدالهادي، (1420هـ- 200م). محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق عبدالعزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالمدينة المنورة، ط1.
69- مجموعة علماء، (1418هـ- 1998م). موسوعة نضرة النعيم فى أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، جدة، ط1.
70- المحلبدي، مزنة بريك بن مبارك، (1432هـ- 1433هـ). التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم وتطبيقاته التربوية في الأسرة والمدرسة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.
71- محمد ناصر الدين، (د.ت). صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتبة الإسلامية، د.ط.
72- المراغي، أحمد مصطفى، (د.ت). تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د.ط.
73- المروزي، أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن حرب، (1419هـ). البر والصلة، تحقيق، محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط1.
74- المزيني، خالد، (1431هـ- 2010م). مفهوم التعددية الفكرية تقسيماً وتأصيلاً على ضوء السياسة الشرعية، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد: 2.
75- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
76- المناوي، عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي، (1415هـ- 1994م). فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

77- مولود، محمد عمر، (2003م). الفيدرالية وإمكانية تطبقها في العراق، مؤسسة موكدياني للطباعة والنشر، العراق، د.ط.
78- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (1392هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2.
79- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، (1416هـ- 1996م). غرائب القرآن ورغائب الفرقان: تحقيق، زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
80- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، (1399هـ). الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق، محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط1.
81- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (د.ت). أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط.